المحاضرة رقم 10: التحوّل السوسيوثقافي والشخصية الجزائرية (02)

رابعا: تمظهرات التحوّل السوسيوثقافي في الحياة اليومية

يمثّل التحوّل السوسيوثقافي في الجزائر منظومة من التغيرات الصغيرة والمتراكمة التي تظهر بوضوح في تفاصيل المعيش اليومي، وفي السلوكيات الفردية والجماعية، وفي أنماط العيش والاستهلاك. وفي مايلي أبرز هذه التمظهرات:

1. تحوّل منظومة القيم الاجتماعية

أ- الانتقال من القيم الجمعية إلى القيم الفردانية

- ❖ أصبح الفرد يعرّف نفسه أكثر بإنجازاته الفردية لا بانتمائه العائلي أو القبلي.
- ❖ تصاعد قيم الحرية الشخصية والاستقلالية في اتخاذ القرار.

ب- التفاوض بدل الطاعة

- ❖ داخل العائلة لم يعد الابن خاضعًا للسلطة الأبوية التقليدية.
- ❖ النقاش والحوار أصبحا أدوات لحسم الخلافات بدل الامتثال المطلق لأوامر الكبار.

ج- إعادة تعريف مفاهيم مثل الشرف والرجولة والهيبة

- ❖ الشرف لم يعد محصورًا في المرأة أو العرض.
- ❖ الرجولة أصبحت مرتبطة بالمسؤولية والعمل لا بالقوة الجسدية.
- ❖ الهيبة لم تعد مرتبطة بالعمر، بل بالمعرفة والكفاءة والمال.

2. تحوّل أنماط الاستهلاك والعيش

أ- صعود الاستهلاك الرمزي

- ❖ التركيز على العلامات التجارية والمظاهر.
- ❖ ظهور "ثقافة الصورة" حيث أصبح المظهر جزءًا من الهوية.

ب- المولات والفضاءات التجارية الجديدة

- ❖ أصبحت المراكز التجارية فضاءات للتنزه وتعلم أساليب الحياة الحديثة.
- ❖ تمثل هذه الفضاءات رموزًا للحداثة والطبقة الوسطى الجديدة.

ج- المقاهي كفضاء اجتماعي

- ❖ المقاهي الشبابية أصبحت مراكز لنقاش السياسة والرياضة والهوية.
- ❖ مقاهي الإناث (نادرة سابقًا) أصبحت واقعًا في المدن الكبيرة.

3. التحوّل في أنماط العلاقات الاجتماعية

أ- ضعف العلاقات الجوارية

- ❖ تقلص دور "الجار كأخ."
- ❖ الجار اليوم مجرد شريك في السكن.

ب- العلاقات الافتراضية

- ❖ شبكات التواصل الاجتماعي أعادت تشكيل الصداقة، الحب، العمل.
- ❖ أصبح الفرد يملك شبكات علاقات واسعة لكنها أقل عمقًا.

ج- العلاقات خارج الرقابة الأسرية

- ❖ العلاقات العاطفية أصبحت أكثر تحررًا وأقل خضوعًا للأنماط التقليدية.

4. الخطاب الديني وتحوّلات التدين

أ- تديّن فردي

- ❖ الفرد ينتقي أحكامه الدينية بحسب قناعاته.
- ❖ تراجع سلطة العلماء التقليديين.

ب- التدين الرقمي

- ❖ تأثير اليوتيوبرز والدعاة الجدد.

ج- التحول من الطقوس إلى الروحانية

- ❖ التركيز على الصفاء الداخلي والعلاقة المباشرة بالله.

5. التحوّل في تمثلات الهوية

أ- الهوية الهجينة

- الفرد الجزائري يجمع بين الأمازيغية والعربية والمتوسطية والإسلامية.
- الهوية أصبحت مفتوحة ومتعددة المرجعيات.

ب- الهوية الجهوية

- فخر المناطق (القبائل، الشرق، العاصمة، الغرب...).
- بروز الانتماءات المحلية داخل الفضاء الرقمي.

6. الثقافة الشبابية

أ- لغة شبابية جديدة

- كلمات مختلطة (Francoarabic) وأخرى محوّرة.
- رموز مختزلة ولغة سريعة.

ب- موسيقى الراب والتراب

- تعبر عن الغضب واليأس والتمرد.
- أصبحت شكلاً من أشكال إنتاج المعنى عند الشباب.

ج- الموضة وتغيّر المظهر

- قطع مع اللباس التقليدي نحو الموضات العالمية.
- ازدهار ثقافة الوشم(tattoo) ، والحلاقة الحديثة، والمظهر الرياضي.

خامسا: أثر التحوّل السوسيوثقافي على الشخصية الجزائرية

تُعد الشخصية الجزائرية اليوم نتاج تراكمات تاريخية عميقة أضيف إليها تأثير التحولات الاقتصادية والسياسية والتكنولوجية المعاصرة. وفيمايلي أثر هذه التحولات:

1. تراجع السمات التقليدية

أ- تراجع النزعة الجمعية الصارمة

- لم يعد الفرد يشعر بالانتماء القسري للجماعة.
- تقلص دور القبيلة والأسرة الممتدة.

ب- ضعف هيبة الكبار

- ❖ لم يعد العمر معيارًا للسلطة والاحترام.
- ❖ المعرفة الرقمية أصبحت رأس مال رمزي جديد.

ج- تراجع الصبر والتحمل

- ❖ نمط الحياة السريع جعل الفرد أكثر عجلة وقلقًا.

2. بروز سمات نفسية وسلوكية جديدة

أ- الفردانية

- ❖ حرية اختيار نمط الحياة.
- ❖ بناء صورة ذاتية مستقلة عن الجماعة.

ب- النزعة الاحتجاجية

- ❖ جرأة أكبر على نقد السياسة والسلطة.
- ❖ مظاهر المقاومة الرمزية (ميمز، سخرية، فن...).

ج- الواقعية والبراغماتية

- ❖ التفكير العملي بدل المثالية الثورية.
- ❖ تقييم الأمور بالنتائج وليس المبادئ.

د- الحسّ الرقمي

- ❖ اكتساب معارف من الإنترنت.
- ❖ تمثّل الذات عبر الصورة الرقمية.

3. صراع الأجيال

أ- الجيل التقليدي vs الجيل الرقمي

- ❖ الكبار يدافعون عن القيم الثابتة.
- ❖ الشباب يطمح إلى التحرر وإعادة تعريف كل شيء.

ب- صراع داخل العائلة

- خلافات حول العمل، اللباس، الدين، اختيار الشريك.

ج- تأثير المدرسة والجامعة

- الجامعة لم تعد فضاءً للتنشئة السياسية فقط، بل فضاءً للبحث عن الذات.

4. آليات التكيف الثقافي

أ- التوفيق بين الأصيل والمعاصر

- الفرد يلبس لباسًا عصريًا لكنه يحتفظ بقيم التضامن والكرم.

ب- الانتقائية الثقافية

- اختيار عناصر معينة من كل ثقافة.

ج- إعادة تشكيل الأنماط الذكورية والأنثوية

- المرأة تدرس وتعمل وتشارك في الحياة العامة.
- الرجل يعيد تعريف دوره الأسري.

سادسا: نماذج للتحول السوسيوثقافي راهنا

تُبرز الدراسات الميدانية التحوّلات السوسيوثقافية بشكل ملموس، لأنها تُظهر السلوك الحقيقي داخل الفضاءات الاجتماعية اليومية.

1. دراسات حول الشباب

أ- الهوية الشبكية

- دراسات عديدة بينت أن الشباب الجزائري يُعرّف نفسه من خلال محتوى الإنترنت.
- "المؤثرون" أصبحوا مرجعًا قيميًا.

ب- اللغة الهجينة

- دراسات لسوسيولوجيين فرنسيين وجزائريين بينت أن الشباب ينسجون لغة خاصة للتعبير عن هويتهم.

ج- البطالة والاغتراب

- البطالة الطويلة خلقت إحساسًا باللامعنى.
- أدى ذلك إلى تعميق الرغبة في الهجرة.

2. دراسات حول العائلة الجزائرية

أ- التحول من البنية الممتدة إلى النووية

- ❖ دراسات ميدانية في الجزائر العاصمة ووهران تشير إلى أن 70% من الأسر أصبحت نواتية.
- ❖ أثر ذلك على استقلالية الشباب، ضعف التضامن اليومي، صعود النزعة الفردانية.

ب- الأسرة "الديمقراطية"

- ❖ قرارات الزواج، الدراسة، العمل أصبحت تُتخذ بالتشاور.
- ❖ الأب لم يعد مركز القرار الوحيد.

ج- العلاقة بين الأجيال

- ❖ جيل الآباء يعيش على القيم التقليدية.
- ❖ جيل الأبناء يعيش في عالم رقمي، مما يولد صراعًا هوياتيًا.

3. المقاهي كفضاء اجتماعي جديد

أ- المقاهي الشبابية

- ❖ المكان الأكثر حضورًا للهوية الجديدة.
- ❖ المقاهي تقدم: واي فاي، موسيقى غربية، خدمات حديثة.
- ❖ أصبحت مرآة للقيم الجديدة: الحرية، النقاش المفتوح، الفردية.

ب- المقاهي النسائية

- ❖ ظاهرة اجتماعية حديثة لم تكن موجودة قبل 10 سنوات.
- ❖ تعكس صعود المرأة كفاعل مستقل في المجال العام.

4. الحراك الشعبي (2019) كنموذج للتحوّل

أ- سلمية غير مسبوقة

- ❖ سلوك جماعي جديد يقوم على الوعي والتنظيم الذاتي.

ب- خطاب سياسي شبابي

- ❖ شعارات ساخرة.

- استخدام الفن والرقمنة.

ج- إعادة تعريف الوطنية

- الوطنية لم تعد شعاراتية، بل مطالبة فعلية بالحقوق.

خلاصة المحاضرة

يمثّل التحوّل السوسيوثقافي في الجزائر سيرورة مستمرة ومعقّدة، تتفاعل فيها العوامل التاريخية مع المتغيرات الحديثة. وقد أدت هذه التحوّلات إلى إعادة تشكيل الشخصية الجزائرية، التي أصبحت ساحة صراع بين:

- الماضي التقليدي،
- والحاضر الهجين،
- والمستقبل الرقمي.

ومع أنّ الشخصية الجزائرية ما تزال تحتفظ بجذورها الأصيلة: التضامن، الكرامة، الحس الوطني، إلا أنها تعرف تحولات عميقة تعكس ديناميكية مجتمع يبحث عن ذاته وسط تحديات عالم سريع التغيّر.